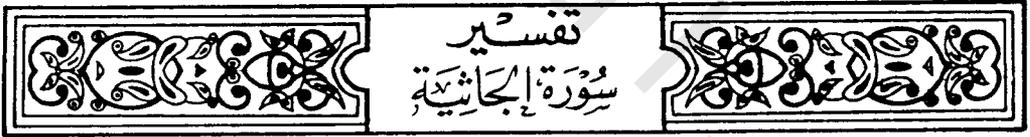


أنهم لا يذوقون الموت أبداً، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» وفي الحديث «يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً» رواه مسلم، وقوله تعالى: ﴿وَوَقَّهْتَ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي مع هذا النعيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ونجاهم من المرهوب. ولهذا قال عز وجل: ﴿فَضْلًا مِّن رَّزِقِكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي إنما كان هذا بفضل الله عليه، وإحسانه إليهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال «اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل».

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِيهِ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨) ﴿فَازْتَفِقْ إِنَّهُمْ مُّرْتَابُونَ﴾ (٥٩)

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِيهِ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي يتفهمون ويعملون، ثم كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله لرسوله ﷺ مسلماً له وواعداً له بالنصر ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك ﴿فَازْتَفِقْ﴾ أي انتظر ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَابُونَ﴾ أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد وإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: 21].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ﴾

تقدم الكلام عن الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢) ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٤) ﴿وَإِخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٥)

يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس والدواب والطيور والوحوش والسياب والحشرات وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين، لا يفتران: هذا بظلامه، وهذا بضائه، وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقاً لأن به يحصل الرزق ﴿فَأَنحَا بِدِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء ﴿وَصَرِيفِ الرِّيحِ﴾ أي جنوباً وشمالاً، ودبوراً وصباً، برية وبحرية، ليلية ونهارية، ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقح، ومنها ما هو للأرواح، ومنها ما هو عقيم لا ينتج. قال سبحانه وتعالى أولاً ﴿لَا يَنْتَ لِمُؤْمِنِينَ﴾، ثم ﴿يُؤْتُونَ﴾، ثم ﴿يَقُولُونَ﴾ وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيانات ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي متضمنة الحق من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا يتقادون لها فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟

﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَاكٍ أٰبِيرٍ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَاكٍ أٰبِيرٍ﴾ أي أفاك في قوله كذاب حلاف مهين، أئيم في فعله وقلبه، كافر بآيات الله.

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلِّ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةٌ بِعَذَابِ أٰلِيمٍ﴾ ﴿٨﴾

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلِّ عَلَيْهِ﴾ أي تقرأ عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ أي على كفره وجحوده استكباراً وعناداً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي كأنه ما سمعها ﴿فَبَشِيرَةٌ بِعَذَابِ أٰلِيمٍ﴾ أي فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذاباً أليماً مرجعاً.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿٩﴾

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به، واتخذها سخرياً وهزواً. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي في مقابلة ما استهان بالقرآن، واستهزأ به، ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.

﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَغْنُ عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾

ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال ﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي كل من اتصف بذلك سيصير إلى

جهنم يوم القيامة ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أي لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ﴿وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ (١١)

﴿هَذَا هُدًى﴾ يعني القرآن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ وهو المؤلم الموجع .

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ فِيهِ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْتَلِيَ الْمُتَّقِينَ وَلِيَمِيزَ الْغَنِيَّ مِنَ الْفَقِيرِ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (١٢)

يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر ﴿لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ وهي السفن فيه بأمره تعالى، فإنه هو الذي أمر البحر بحملها ﴿وَلِيَبْتَلِيَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي في المتاجر والمكاسب ﴿وَلِيَمِيزَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي على حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية .

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣)

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي من الكواكب والجبال، والبحار والأنهار، وجميع ما تنتفعون به، أي الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه، ولهذا قال ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي من عنده وحده لا شريك له في ذلك، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّفَعَةٍ مِّنْ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْتُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 53] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أي ليصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم، وكان هذا في ابتداء الإسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين، وأهل الكتاب، ليكون ذلك كالتأليف لهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجهاد والجلاد. قال مجاهد: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ لا ينالون نعم الله. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي إذا صفحوا عنهم في الدنيا فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة، ولهذا قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥)

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزىكم بأعمالكم خيرا وشرها .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ

الْعَالَمِينَ﴾ (١٦)

يذكر تعالى ما أنعم به على بني اسرائيل من إنزال الكتب عليهم، وإرسال الرسل إليهم، وجعله

الملك فيهم، ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ أَيَّ مَائِدَاتٍ وَمَشَارِبٍ ﴿٧﴾ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ أَي فِي زَمَانِهِمْ .

﴿وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أَي حُجُجاً وَبِرَاهِينَ، وَأَدْلَةً قَاطِعَاتٍ، فَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجُجُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بَغِيّاً مِنْهُمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَي سَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ . وَهَذَا فِيهِ تَحْذِيرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ تَسْلُكَ مَسْلُكَهُمْ، وَأَنْ تَقْصِدَ مِنْهُمْ . وَلِهَذَا قَالَ جَل وَعَلَا:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ أَي ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأنعام: 106] ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أَي وَمَاذَا تَغْنِي عَنْهُمْ وَلَا يَتِيهِمْ لِبَعْضِهِمْ؟ فَانْهَمُوا لَا يَزِيدُونَهُمْ إِلَّا خَسَاراً وَدَمَاراً وَهَلَاكاً ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وَهُوَ تَعَالَىٰ يَخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يَخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ .

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّجْيَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

يَقُولُ تَعَالَى: لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: 20] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أَي عَمِلُوا وَكَسَبُوا ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّجْيَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ أَي نَسَاوِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَي سَاءَ مَا ظَنُّوا بِنَا، وَبَعْدَ لَنَا أَنْ نَسَاوِي بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَفِي هَذِهِ الدَّارِ .

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَلَئَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالعدل ﴿وَلِكُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .
 ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٢٣)

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ أي إنما يأتمر بهواه، فمهما رآه حسناً فعله، ومهما رآه قبيحاً تركه ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ يحتمل قولين: أحدهما وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك، والآخر وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، والثاني يستلزم الأول ولا ينعكس ﴿وَوَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ أي فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئاً يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها، ولهذا قال ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ كقوله تعالى ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلَا هَادِي لَمْ يَدْرُهُمْ فِي طَلْعَتِهِمْ يَعْهَوْنَ﴾ (١٨٦) [الاعراف: 186].

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (١٢٤)

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد، وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البدأة والرجعة، وتقول الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا العقول، وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ قال الله تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي يتوهمون ويتخيلون. فأما الحديث الذي أخرجه صاحبنا الصحيح وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول تعالى يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب ليله ونهاره» فإن العرب في جاهليتهم إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث.

﴿وَإِذَا نُنُكِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِيَنَنْتِ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَأْتُونَنَا بِبَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٢٥)
 ﴿وَإِذَا نُنُكِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِيَنَنْتِ﴾ أي إذا استدل عليهم وبين لهم الحق، وأن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَأْتُونَنَا بِبَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي أحيوهم إن كان ما تقولونه حقاً.

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: 28] أي الذي قدر على البداء قادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27] ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي إنما يجمعكم إلى يوم القيامة، لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا ﴿أَتَنْتَابُنَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجاثية: 25] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: 9] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [البقرة: 255] ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: 104] وقال ههنا ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي فلهذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد، قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَوْهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: 6، 7] أي يرون وقوعه بعيداً، والمؤمنون يرون ذلك سهلاً قريباً.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدُ بِخَسْرٍ الْمَبْطُلُونَ ﴿١٧﴾﴾

يخبر تعالى أنه مالك السماوات والأرض، والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمِئِدُ بِخَسْرٍ الْمَبْطُلُونَ﴾ وهم الكافرون بالله، الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات والبيانات والدلائل الواضحات. قال ابن أبي حاتم: قدم سفيان الثوري المدينة بسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس، فقال له: يا شيخ، أما علمت أن الله تعالى يوماً يخسر فيه المبطلون؟ قال: فما زالت تعرف في المعافري حتى لحق بالله تعالى.

﴿وَرَوَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَرَوَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً﴾ أي على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم، فإنها تزفر رفة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته حتى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويقول: نفسي نفسي نفسي، لا سألك اليوم إلا نفسي، وحتى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتها. ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ يعني كتاب أعمالها، كقوله عز وجل: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ وَجَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: 69] ولهذا قال سبحانه ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي تجازون بأعمالكم خيرها وشرها ﴿يُنْفِئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13].

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي ستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي آمنت قلوبهم، وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة، وهي الخالصة الموافقة للشرع ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ وهي الجنة كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى قال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ أي البين الواضح.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي يقال لهم: ذلك تقريباً وتوبيخاً، أما قرأت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم وأعرضتم عن سماعها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ﴾ في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ

بِمُسْتَقْبِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أي لا نعرفها ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي إن نتوهم وقوعها إلا توهماً، أي مرجوحاً، ولهذا قال ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَقْبِرِينَ﴾ أي بمحققين.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا﴾ أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي أحاط بهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي من العذاب والنكال.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمُ كَمَا نَسِيفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمُ﴾ أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ﴿كَمَا نَسِيفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به ﴿وَمَاْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ﴾ في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة «ألم أزوجك ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأدرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: فاليوم أنسأك كما نسيتني».

﴿ذَٰلِكُمْ بِأَنكُم مَّتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ

يُسْتَعْبَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمْ بِأَنكُم مَّتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي إنما جازيناكم هذا الجزاء، لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم

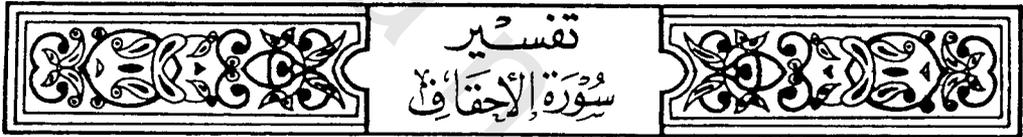
سخرياً تسخرون وتستهنئون بها ﴿وَعَزَّكَوْا الْحَيُّوَةُ الدُّنْيَا﴾ أي خدعتكم فاطمأنتم لها فأصبحتم من الخاسرين، ولهذا قال عز وجل: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا﴾ أي من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَنْبِطُونَ﴾ أي لا يطلب منهم العتبي، يل يعذبون بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦)

ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ أي المالك لهما وما فيهما، ولهذا قال ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧)

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني السلطان، أي هو العظيم المجيد الذي كل شيء خاضع لديه، فقير إليه وقد ورد في الحديث الصحيح يقول الله تعالى: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما أسكتته ناري» رواه مسلم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي الذي لا يغالب ولا يمانع ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. تعالى وتقدس، لا إله إلا هو.



تفسير سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ﴾ (١)

تقدم أول سورة البقرة الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢)

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام، والحكمة في الأقوال والأفعال ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢).

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا

مُعْرِضُونَ﴾ (٣)

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لا على وجه العبث ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي وإلى مدة